

في التاريخ اليهودي ، وعرضت بصورة لا يمكن ان يفهم منها الا ان « شعبا مختارا » ، ذا قوة « خارقة » فقط قادر على تحمل تلك الشدائد . فالنكبة النازية ، مثلا ، عرضت بشكل يكاد يبدو معه كأن اليهود لوحدهم هم الذين قاسوا على ايدي النازيين ، وذلك على الرغم من ان دولا وشعوبا اوربية عدة فقدت الملايين من ابنائها خلال الحرب العالمية الثانية ، نتيجة للعدوان النازي . اما حادثة المسادة ، كمثال ايضا ، التي فضلت فيها قلة محاصرة من اليهود الموت حتى اخر رجل ، على الاستسلام للرومان ، فقد عرضت بشكل لا يمكن ان يؤدي الا الى تقوية الروح الانتحارية لدى الشباب اليهودي . وفي الوقت نفسه ، ومن ناحية اخرى ، عرضت الانجازات التي حققها الافراد اليهود ، من ابناء الشعوب المختلفة ، في حقول العلوم والادب والفنون والثقافة وغيرها من اوجه التقدم الانساني ، وكأنها جاءت نتيجة لكون محققها يهودا فقط ، دون ان تكون لها علاقة بحضارات وانجازات الشعوب التي عاشوا بينها ، او انها لم تكن نتاجا لها .

وكانت النتيجة الواضحة التي ترتبت على تلك المفاهيم ، بالنظر الصهيونية اليها ، خلق نفسية صهيونية مشوشة وغير متزنة ، لها منطقتها الخاص بها ، الحكوم بقواعد غير متجانسة بالضرورة مع تلك السائدة لدى الاخرين . ولهذا المنطق استنتاجاته الخاصة به ايضا : فاذا كان اليهود قد تعرضوا لكل تلك المآسي وحافظوا على وجودهم على الرغم منها ، لا بد ان يكونوا فعلا « شعبا مختارا » ، تميزه عن باقي الشعوب في العالم صفات حميدة عديدة . وان كان الامر كذلك ، لا بد ان يتعمق شعور الصهيونيين بـ « وحدانيتهم » و « اهميتهم » ، وبالتالي لا يمكن الا ان يصبحوا « مدالين » لا يستطيعون التعامل مع الاخرين على قدم المساواة - وهذا ما حدث فعلا . اما الوجه الاخر لهذه النفسية فيتمثل في بروز شعور الانغلاق على النفس والخوف من الاخرين وعدم الثقة بهم .

وتجد هذه النفسية تعبيراً واضحاً عنها ، عند التنفيذ ، في موقف الصهيونيين والاسرائيليين من الصراع العربي - الاسرائيلي ، ونظرتهم وشروطهم المتعلقة بمشاريع التسوية السياسية المطروحة في المنطقة . فالاسرائيليون يريدون ، مثلا ، « سلاما » ولكنهم يخشون من عواقبه ، وعلى استعداد لابداء ثقتهم ببعض العرب ولكنهم يشكون بهم في الوقت نفسه . وبعضهم على استعداد للانسحاب من المناطق المحتلة ، ولكنه في الوقت نفسه يريد « ضمها » بواسطة « الحدود الامنة » . وتبدو الدوامة التي يعيشون فيها شاملة ودائمة ، كأنها تسيطر عليهم كليا ، ولا قدرة لديهم على الخروج منها ، خصوصا عندما يضعون على المحك ويطلبون بمواقف محددة ردا على اقتراحات محددة .